أوروبا على وشك الغرق في نهر اليمين المتطرف

المصدر:صحيفة نيويورك تايمز والكاتب: ليا يي

مركز المنبر للدراسات والتنمية
ALMANBAR FOR STUDIES AND DEVELOPMENT

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌّ، مقرّه الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كتابها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

---

https://www.almanbar.org

info@almanbar.org

أوروبا على وشك الغرق في نهر اليمين المتطرف

قسم الابحاث والترجمة

المصدر: صحيفة نيويورك تايمز الأميركية[1]

بتاريخ: 7 مايو 2024

الكاتبة: ليا يي، أستاذة النظرية السياسية في كلية لندن للاقتصاد ومؤلفة كتاب "حُر: بلوغ سن الرشد في نهاية التاريخ".

أوروبا غارقة في القلق، وبالكاد يستطيع قادتها إخفاء قلقهم مع اقتراب انتخابات البرلمان الأوربي، التي من المتوقّع أن يحقّق اليمين المشتدّد مكاسباً فيها.

وفي خطاب ألقاه الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أواخر نيسان/أبريل، عبّر عن المزاج السائد، وبعد أن حذّر من التهديدات التي تواجه القارة، أعلن عن الحاجة إلى "أوروبا القوية الجديدة".

وبينما كنت أشاهد الخطاب، تذكّرت تعليقات نيكولو مكيافيلي في الصفحات الأولى من كتابه "الأمير"، حيث يعتبر السياسة تشبه الفن في كثير من النواحي، فكما يضع رسّامو المناظر الطبيعية أنفسهم بشكل خيالي في السهول لفحص الجبال وعلى قمم الجبال لدراسة السهول، كذلك يجب على الحكّام أن يسكنوا مناطقهم.

[1] Europe Is About to Drown in the River of the Radical Right .
https://www.nytimes.com/2024/05/07/opinion/europe-elections-macron-machiavelli.html

وكتب مكيافيلي: "لكي تعرف طبيعة الناس جيداً، يجب أن تكون أميراً، ولكي تعرف طبيعة الأمراء جيداً، يجب أن تكون من الشعب".

ماكرون يتصارع مع الجزء الأول من جملة مكيافيلي، وصاحب منصب يحاول فهم طبيعة الأرض. والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هي القوة في أوروبا الجديدة؟ وكيف ينبغي للاتحاد الأوروبي أن يمارسها؟. أجاب ماكرون بطريقة أميرية، مُظهراً الوعي بالفضاء المحدود للمجتمع السياسي، وقال إنّ أوروبا "مهدّدة بالموت". واختتم كلامه بدفاع متحمّس عن "الحضارة" الأوروبية والحثّ على خلق نموذج لإحيائها.

ومع ذلك، وعلى الرغم من كل تطلعاته، فقد أهمل ماكرون النصف الثاني من جملة مكيافيلي: أن الناس يشكلون أيضا وجهات نظر حول حكامهم، فقد تجاهل ماكرون العديد من الأوروبيين الذين يشعرون أن أروبا منعزلة، واصفا خيبة أملهم بأنها نتيجة "حجج كاذبة".

لعقود من الزمان، تجاهل قادة الاتحاد الأوروبي ، ومنعوا مواطني القارة من أي مشاركة سياسية ذات مغزى. لقد غيّر هذا الإقصاء معالم المشهد الأوروبي، مما مهد الطريق لصعود اليمين المتطرف.

عندما فكر مكيافيلي في أزمات عصره – من بينها الصراعات بين القوى الأوروبية الكبرى، والاستياء من القادة، وانهيار شرعية الكنيسة الكاثوليكيةى – لجأ إلى الجمهورية الرومانية طلباً للإلهام. وكتب أنّه عندما تكون هناك شكوك حول القيم، فإن التاريخ هو دليلنا الوحيد المتبقّي. وأوضح أن سرّ الحرية الرومانية لم يكن حظها الجيد ولا قوتها العسكرية، بل في قدرة الرومان على التوسّط في الصراع بين النخب الثرية والأغلبية العظمى من الناس.

في حين أن الميل المتأصل للعظماء، كما جادل مكيافيلي، هو تجميع الثروة والستحواذ على السلطة، فإن الرغبة المتأصلة لدى الشعوب، هي تجنّب الوقوع تحت رحمة النخب الحاكمة. وأدّى الصدام بين المجموعتين عموماً إلى سحب الأنظمة السياسية في اتجاهين متعاكسين. ومع ذلك، كان لدى الجمهورية الرومانية مؤسسات، مثل محكمة العوام، التي سعت إلى تمكين الشعب واحتواء النخب. ورأى مكيافيلي إنّه فقط من خلال توجيه هذا الصراع بدلاً من قمعه، يمكن الحفاظ على الحرية المدنية.

لم تستجب أوروبا لنصيحة ميكافيلي. وعلى الرغم من كل خطابه الديمقراطي، فإن الاتحاد الأوروبي بات أقرب مايكون إلى مؤسسة حكم الأوليغارشية، وتحت إشراف هيئة غير منتخبة من التكنوقراط في المفوضية الأوروبية حيث لا يسمح الاتحاد، بإجراء مشاورات شعبية بشأن السياسة، ناهيك عن المشاركة. فيما القواعد المالية – التي تفرض قيوداً صارمة على ميزانيات الدول الأعضاء – توفّر الحماية للأغنياء، في حين تفرض التقشّف على الفقراء. فمن أعلى إلى أسفل، تخضع أوروبا لهيمنة مصالح القلة من الأثرياء، الذين يقيّدون حرية الأغلبية.

وبطبيعة الحال، فإن المأزق الذي تواجهه دول الإتحاد الأوربي ليس فريداً من نوعه. إنّ الشركات والمؤسسات المالية ووكالات التصنيف الائتماني ومجموعات المصالح القوية هي التي تتخذ القرارات في كل مكان، مما يقيّد بشدة سلطة السياسيين. والاتحاد الأوروبي ليس أسوأ المجرمين. ومع ذلك، في الدول القومية، يمكن الحفاظ على مظهر المشاركة الديمقراطية من خلال الولاء لدستور مشترك. أما في الاتحاد الأوروبي، الذي تتلخّص أسطورته التأسيسية في السوق الحرة، فإن إثبات هذه الحجة أصعب كثيراً.

غالبا ما يفترض أن يكون الطابع العابر للحدود الوطنية للكتلة هو السبب وراء كراهية الأوروبيين لها. ومع ذلك فإن أولئك الذين يقاومون الاتحاد الأوروبي الحالي لا يفعلون ذلك لأنّه عالمي أكثر مما ينبغي، بل ببساطة لأنه يفشل في تمثيلهم. فالبرلمان الذي من المقرّر أن يصوّت لصالحه الأوروبيون في الشهر المقبل، لا يتمتع إلا بقدر ضئيل من السلطة التشريعية، فهو يميل إلى مجرّد التصديق على القرارات التي تتخذها المفوضية.

وهذه الفجوة التمثيلية هي التي يملأها اليمين المتطرف، مما يحوّل المشكلة إلى ثنائيات بسيطة – إما أنت أو هُم، الدولة أو أوروبا، العامل الأبيض أو المهاجر.

في استطلاع للرأي أجري مؤخراً أظهر أنّ المواطنين الأوروبيين أكثر اهتماماً بالفقر وفرص العمل ومستويات المعيشة وتغيّر المناخ من اهتمامهم بالهجرة، وهذا يشير إلى أنّ جاذبية اليمين المتطرف لا تكمن في عداءه المهووس للمهاجرين بقدر ما تكمن في انتقاده لفشل الكتلة في معالجة هموم الناس اليومية. وبوسع الساسة الأوروبين أن يسعوا إلى علاج هذه المشكلة من خلال تغيير المؤسسات لتحسين قدرة المواطنين على المساومة، وجعلهم يشعرون بأنّ صوتهم مسموع، ولكنهم بدلاً من ذلك، يفضّلون إلقاء محاضرات صارمة.

السياسة دائماً تحت رحمة الحظ. ومع ذلك، فإنّ الحظ، كما أكد مكيافيلي في كتابه "الأمير"، تشبه النهر الذي يمكن منع فيضانه من خلال بناء السدود. وإذا كان السياسيون الأوروبيون محاصرون بشكل متزايد في إدارة الطوارئ، فذلك لأنهم فشلوا في المهمة السياسية الأولى الجديرة بهذا الاسم وهي: تشخيص أسباب الأزمة، وتوضيح من يمثّل ومن يتم استبعاده، والدفاع عن أولئك الذين تتعرّض حريتهم للخطر.

ربما تكون السياسات الشعبوية التي يقدّمها اليمين المتشدّد عرقية وضيقة إلى حد ما، لكنها السياسة الوحيدة المعروضة التي تتحدث بشكل مباشر عن خيبة أمل الناس.

القادة الحاليون في أوربا يصرفون نظرهم، وطالما استمر اليمين المتشدد في الهيمنة على شروط النقاش السائد، فإن أي نداء للقيم الأوروبية لن يوقف النهر الذي نحن جميعاً على وشك الغرق فيه.